

لحظات التجلي

للاستاذ أحمد أمين

ثم تذهب عنه لحظات التجلي على الرغم منه ، فادأ به في بعض أوقاته مظلم الحس ، متخلف الذهن ، بليد البصرة ، لا يتنبه للحس ، ولا يفتن لغزى ، تستعجم عليه المدارك الظاهرة ، وتختفى حيزه الاشباح المائلة . وتختلف لحظات التجلي عند الفلاسفة والصوفية كثرة وقلة ، كما يختلف مدى التجلي بعداً وقرباً ، حتى يحكى عن افلوطين ، الفيلسوف الروحاني المشهور أنه حظى بهذه اللحظات بضع مرات في حياته ، وحظى بها تلميذه « فورفوريوس » مرة واحدة

وتعرض للفنان فيلهم معنى يصوره بريشته أو يوقع به على قشارته ، فتم الابداع والجمال الرائع ، والحسن البارع ، ذاك يملأ العين حسنا بصورته ، وهذا يملأ السمع والقلب عذوبة بنغمته ، ثم تأتى على هذا وذاك أوقات ينضب فيها مئينهما ، ويفتر عنهما وحيهما .

وترى العلماء من رياضى وطبيعى وكيمائى ، يرزق أحدهم الخطوة بلحظة من هذه اللحظات ، يلهم فيهم فكرة يكون من ورائها مخترع عجيب ، أو استكشاف خطير ، عرض له أثناء بحثه ، وقد لا تكون هناك علاقة ما بين ما يبحث فيه وبين ما ألهمه ، بل لا تكون هناك مقدمات منطقية مما لا اله الا الله ، ويقف العلم حائراً لا يستطيع أن يعالج كيف نشأت في ذهن هذه العالم تلك الفكرة ، وكيف فطن لها ، بل يحار المستكشف نفسه كيف عرضت له وكيف ألهم بها

وبعد فبل يمكن أن نضع قوانين لهذه اللحظات ، وهل هناك عوامل معروفة اذا استوفيت أمكتنا اقتناؤها والخطوة بها ؟ وهل يمكن أن تجمع هذه الشروط في زر كه تأتى أو زر روحانى نفقه فتفتح علينا لحظات التجلي إن شئنا ؟

لو استطعنا هذا لتضاعف الانتاج الادبى والعلمى في هذا العالم أضعافاً مضاعفة ، ولسهل على الاديب أن يستوفى الشروط فما هو الا أن يمسك بقلبه فيغرمائه ، ويسيل أتيه ، وتتنال عليه الألفاظ والمعاني اثيالا

لكل انسان . وخاصة العقليين والروحانيين . لحظات تسمى . فيها نفوسهم ، حتى كأنها المرآة الصافية ، أو الشعلة المتهبة ، كل جانب فيها مضى ، وكل العالم منعكس عليها ، يراه فيها كإبرى السماء فى الماء .

بحس بهذا الاديب ، قرأه حيناً وقد غررت معانيه وتدقت عليه من كل جانب ، حتى ليحار فى الاختيار ، ماذا يأخذ وماذا يذر ، وبم يفضل بعضها على بعض ، وحتى كأنه يعترف من بحر ، أو يعلل عن حفظ ، ويصدر عنه اذ ذاك القول السلس والمعانى الغزيرة ، والشعر المتدفق ، هذه اللحظات عنده هى « لحظات التجلي » ، وتأتى عليه أوقات وقد جمدت قريحته ، وأجذب فكره ، يعانى فى البحث ما يعانى ، ثم لا يأتى الا بحمأة وقايل مالم ، ويصعب عليه القول كأنه يتمتع من بحر ، أو يستنبط من صخر ، وقد عبر الفرزدق عن هذا المعنى فقال « أنا أشعر نعيم ، وربما أتت على ساعة ونزع ضرس أسهل على من قول بيت » ونتاجه فى مثل هذه اللحظات بارد جاف ، لا يستسيغه الذوق ، ولا تألفه الروح ، أشبه شئ بقطع الجلاميد ، وبأجدال الحطب

ويحس بهذا الفيلسوف ، فيشعر بلحظات تنكشف فيها حقيقة هذا العالم ، فيراها ويستلذها ، ويود أن تنوم ، بل يود أن تعاوده الذاكرة بعد الفينة ، ويتمنى أن يشتري عودتها بكل ممالك ، وينفق فى ساعة منها كل متع الحياة الدنيا ، يشعر فى هذه اللحظات بذكاء فى الفهم ، وصفاء فى النفس ، ولطافة فى الحس ، تكفيه فى فهم هذا العالم الاشارة ، ويجزئه الايماء ، يستشف العالم من وراء مظهره ، ويلبحه من رموزه ، ويشعر اذ ذاك بسمو فى العقل ، ورقى فى الروح ، لا يعدل لذتهم ما شئ فى الحياة

لقد حاولوا من قديم أن يستكشفوا قوانين « التجلي » فقالوا ان مما يعين عليه جودة الغذاء ، وفراغ البال من هموم الحياة ، وصحة البدن ، وطمأنينة النفس ، واستعانوا على نيل لحظات التجلي بمختلف الألوان ، فقد قيل لكثير عزة يا أبا صحر ، كيف تصنع اذا عسر عليك قول الشعر؟ قال أطوف في الرباع المخملية ، والرياض المعشبة ، فيسهل على أروحه ، ويسرع الى أحسنه ، وقال الاخوص وأشرقت في نشر من الارض يافس

وقد تشفق الايفاح من كان مقصداً (١) ولجأ الأدباء من قديم الى الأزهار والرياح ، والمياه الجارية ، والمناظر الجميلة ، كالجأ بعضهم الى البحر يستلهمها ويستوحيا ، وتكاد تكون لكل أدب عادة يرى أنها علة غزارته ، ومحتاجاته ، وأنه يستلهم منها تعصم من الأفكار ، ويستسمح بها الان من المعاني . ولكن هل نجحت كل هذه المحاولات في استكشاف قوانين التجلي . ؟ أظن أن نظرة بسيطة تكفي للقول بأنها لم تنجح ، فقد تستوفى كل الشروط التي قالوها ، فالصححة في أجود حالاتها ، والغذاء خير غذاء ، والكاتب أو الشاعر مطمئن النفس . هادئ البال ، بين الرياض المزهرة ، والمياه الجارية ، والوجوه تناضرة ، وهو مع هذا أجذب ما يكون قريحة . وأنضب ما يكون ميثا ، ثم هو يكون على العكس من ذلك كله فيوآيه شيطانه ، وتزاحم في صدره المعاني ، وتبارى على قلمه الآراء والأفكار والألفاظ

ثم هذا أديب أو شاعر يجود قوله وتجلى نفسه ، في الاماكن الخالية والسكون العميق ، وذلك لا بتأتى له هذا الموقف إلا في الاوساط الصاخبة والحركة المانحة . وأديب لا ينتج الا اذا امتلأ جيبه واطمأنت نفسه لحاجات الحياة ، على حين

(١) البافع : المرتفع رشعت الايقاع حركت نفسه وهاجت عواطفه والمقصود

من حسن القصائد

أن الآخر لا يجد الا اذا فرغ وطابه . وعضه الفقر بنابه ، وتكاثرت عليه هموم .

فأين قوانين التجلي اذا كان يحدث في البيت . . . والظروف وعكسها قد تكون كل المظاهر وكل ما يحيط بالنفس يذنب بحال انقباض وجوده ، واذا انفس مع ذلك فياضة جياشة متجلية ، وقد تكون المظاهر كلها تدل على نفس متفتحة للعمل ، مليئة بالفكر فاذا هي بجدة متقبضة ، ويرى الآراء القيعه والمعاني السامية قد تنبع من بيئة قائمة . ونفس مظلمة كما تخرج الزهرة من طين ، أو كما يخرج الذهب من الرثام ، والحريير من الدود ، وقد سلك لنا من أدباء أخرجوا روايات هزلية تستخرج الضحك من أعماق القلب وحالتهم الانسية وقت تأليفها كان يسودها الحزن ، ويشيع في جوانبها الالم والبؤس

أخشى ان يكون الذين قد وضعوا هذه القوانين وأمثالها للحظات التجلي قد تسرعوا في وضعها ، فالانسان معقد كل التعقيد ، ولئن كان جسمه معقدا مرة ففسه وروحانيته وعقله معقدة الف مرة بل آلاف ، وإن العوامل التي تؤثر في نفسه وروحانيته ليست الحالة البدنية ، ولا الغذاء الصالح ، ولا المناظر الجميلة ، ولا الغنى والفقر ، وحدها ، بل هناك عوامل أدق وأعق وأغمض ، ان الانسان لا يعيش في بدنه وحده ، ولا في محيطه فقط . بل إنه يعيش في أصدقائه الاقربين والابعدين ، وإنه يعيش في آباءه الذين كانوا وماتوا ، وإنه يعيش في ذريته الذين كانوا وسيكونون ، وإنه يعيش في أحلامه وآلامه وآماله ، ويعيش في شبكات من تموجات نفسية دونها يمر اجل شبكات التلفرافات والتليفونات ، وتتسلط عليه أنواع من الاشعة لا عداد لها

لعلنا لانستطيع أن نستكشف قوانين التجلي الا إذا عرفنا نوع النفس التي تتلقى هذه الاشعة ، وعلينا كل هذه المؤثرات ، وهياتها

احمد امين .